العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

دروس أبي الفضل العباس

في مكارم الأخلاق

تأليف

ميثم هادي القريشي

وحدة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: دروس أبي الفضل عليه السلام في مكارم الأخلاق.
الكاتب: ميثم هادي القريشي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة / شعبة الاعلام.
التصميم والاخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي.
التدقيق اللغوي: لؤي عبد الرزاق الاسدي.
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ١٩٤٨ لعام ٢٠١٢.
المطبعة: دار الضياء - النجف الاشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠

رمضان ١٤٣٣ - آب ٢٠١٢

الإهداء

إلى سيدتي ومولاتي..

إلى سيدة النساء المعصومة المظلومة..

إلى مكسورة الضلع.. مسقطة الجنين..

إلى المعصورة بين الحائط والباب..

إلى بنت النبي صلى الله عليه وآله، وزوجة الوصي عليه السلام، وأم الأئمة عليهم السلام..

إلى أم أبيها فاطمة الزهراء عليها السلام..

أرفع هذا المجهود المتواضع الذي تشرفت فيه بالبحث عن استلهام دروس الأخلاق من حياة ناصر ولدها الحسين عليه السلام أبي الفضل العباس عليه السلام.. راجياً من الله قبولها ورضاها، ومن ثم شفاعتها يوم تلتقط شيعتها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، آمين رب العالمين..

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد..

في أحد الأيام جاءني أحد الأصدقاء يطلب مني شرح قول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته لأبي الفضل العباس عليه السلام : «**أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالوَفاءِ وَالنَّصِيحَةِ**،...»[1]؛ وذلك ليشارك في إحدى المسابقات، فكتبت له صفحتين في الدروس الأخلاقية المستوحاة من قول الإمام الصادق عليه السلام في حق أبي الفضل العباس عليه السلام، وبعد فترة من الزمن رأيته، فقال لي: (لقد فزنا في المسابقة)، فرأيت عندها أن يكون ذلك كتاباً يتناول إحدى جوانب حياة المولى أبي الفضل العباس عليه السلام بشكل مستقل، وإن كان حرياً بنا أن نقدم دراسة متكاملة لشخصيةً مثل شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، يُنظر فيها إلى جميع الأبعاد المرتبطة بهذا البطل الفذ الذي لم تلد البطون ولم تر العيون مثله أبداً، ولكن هذه الدراسة تحتاج إلى الوقت الكبير والتفرغ، لذا قررت أن يتناول الكتاب الدروس الأخلاقية المستلهمة من مواقف العباس في كربلاء أو من أقوال الأئمة عليهم السلام في حقه أو من غير ذلك، فوفقني الله تعالى لجملة من تلك الدروس التي وقفت عليها وقد أسميته: (دروس أبي الفضل العباس عليه السلام في مكارم الأخلاق)،. ولهذه الفكرة فوائد عديدة، نذكرها هنا :

١- إنَّ كثيراً من الناس قد تعلقت قلوبهم بهذا الهمام الضرغام، فهم على استعداد

(١) مفاتيح الجنان : الشيخ عباس القمي: ٦٣٨

للاقتداء به متى ما اطّلعوا على أخلاقه وصفاته لشدة تأثرهم به عليه السلام.

٢- إن أبا الفضل العباس عليه السلام لم يكن من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ومع ذلك فقد وصل إلى ما وصل إليه من المقامات الأخلاقية الرفيعة، مما سنعرفه من خلال الدروس القادمة.. وهذا ألزمُ حجة علينا بتهذيب أنفسنا وإخضاعها إلى الطريق السليم الصحيح نحو الله تعالى..

٣- إن ذلك نافعٌ لخطباء المنبر الحسيني الشريف (أعلى الله شأنهم) في محاضراتهم في ربط الموضوعات الأخلاقية بمواقفه وأحواله..

٤- إن هذا الكتاب يعد جمعاً لموضوعين مهمين في كتاب واحد، وهما: (الأخلاق) و (حياة وسيرة أبي الفضل العباس عليه السلام).

٥- من أجل أن أبرئ ذمتي أمام الله تعالى وأمام القارئ الكريم؛، وإنما أثبتها فقط من أجل أن أخدم أبي الفضل العباس عليه السلام من خلال إبراز أخلاقه الحميدة وكثير مما ذكر لا نعرف عنها إلا اليسير.

وعلى كلٍّ فلله الحمد والشكر على هذه النعمة أن جعلني خادماً حقيراً صغيراً من خدمة قمر العشيرة وصاحب اللواء (عليه آلاف التحية وأزكى السلام). فإن كاتب هذه السطور غارق في التقصير والقصور.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يوفقنا في بلوغ ما ترجيناه من هذا العمل، وهي خدمة سيدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، ومتمنياً من أخي القارئ الكريم أن يرفع يديه لي بالدعاء الخالص، ويسأل الله أن يوفقني لذلك فإن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب إن شاء الله تعالى.

ميثم هادي القريشي

تعريف مختصر لأبي الفضل العباس عليه السلام

١. اسمه: العباس.

٢. أبوه: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. أمه: فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية (أم البنين) عليها السلام.

٤. ولادته: في ا لرابع من شعبان سنة ٢٦هـ.

٥. عمره: ٣٤ سنة، عاش مع أبيه ١٤ سنة، ومع أخيه الإمام الحسن عليه السلام ٢٤ سنة، ومع أخيه الإمام الحسين عليه السلام تمام عمره.

٦. إخوته لأبيه وأمه: ثلاثة وهم: عبد الله، وجعفر، وعثمان.

٧. أولاده: خمسة وهم: عبيد الله، والفضل، والحسن، والقاسم، وبنتاً.

٨. زوجته: المشهور أن له زوجة واحدة اسمها لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

٩. كنيته: أبو الفضل وأبو قربة، وقيل: أبو القاسم.

١٠. ألقابه: قمر بني هاشم، وباب الحوائج، والشهيد،وقطيع الكفين وغيرها.

١١. صفاته: «كان رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض»[1].

---

(١) معالم المدرستين : السيد مرتضى العسكري: ص١٢٩.

١٢. أقوال الأئمة عليهم السلام فيه:

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**رحم الله عمّي العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتّى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعبّاس عند الله - تبارك وتعالى - منزلة، يغبطه بها جميعُ الشهداء يوم القيامة**»(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاء حسنا ومضى شهيداً**»(٢).

ويقول الإمام علي عليه السلام: في حقه: «**إنّ ولدي العباس زق العلم زقّاً**»(٣).

ويقول الإمام الحسين عليه السلام له عندما أراد الرخصة بالقتال: «**يا أَخي! كُنْتَ الْعَلامَةَ مِنْ عَسْكَري، وَمَجْمَعَ عَدَدِنا، فَإِذا أَنْتَ غَدَوْتَ يَؤُولُ جَمْعُنا إِلَى الشَّتاتِ، وَعِمارَتُنا تَنْبَعِثُ إِلَى الْخَرابِ**»(٤).

وقال له بعد مقتله: «**جُزِيْتَ عَنْ أَخيكَ خَيْراً حَيْثُ نَصَرْتَني حَيّاً وَمَيِّتاً**»(٥).

وقال أيضاً: «**أَلآنَ انْكَسَرَ ظَهْري، وَقَلَّتْ حيلتي**»(٦).

وقال صارخاً عندما وقع أبو الفضل صريعاً: «**وا أخاهْ! وا عَبّاساهْ! وا مُهْجَةَ قَلْباهْ!**»(٧).

---

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين:جعفر عباس الحائري: ٢٣٥.

(٢) أعيان الشيعة: السيد محسن أمين العاملي: ج٧ص٤٣٠.

(٣) انظر أسرار الشهادات: للدربندي / ٣٢٤أ الطبعة الحجرية.

(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام/ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام/ ص٥٦٦.

(٥) نفس المصدر:ص٥٧٠

(٦) نفس المصدر:ص٥٧٠

(٧) نفس المصدر:ص٥٦٨

وقال له: «**ارْكَبْ بِنَفْسي أَنْتَ - يا أَخي**»[١].

وقال: «**واضيعتنا بعدك يا أبا الفضل...**»[٢].

وللإمام الحسين عليه السلام أكثر من كلمة في حقه، ولو تتبع أحد كلام أهل البيت عليهم السلام في حقه من صغره إلى آخر عمره وما بعد موته لجمع لنا كراساً جميلاً وجيداً.

أراجيزه يوم الطف:

١- أنا الذي أُعرف عند الزمجرة ... بابن علي المسمى حيدرة
٢- يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين
٣- لا أرهب الموت إذا الموت زقا ... حتى أوارى في المصاليت لقى
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى ... إني أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى
٤- والله إن قطعتمُ يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين ... نجل النبي الطاهر الأمين
٥- يا نفس لا تخشي من الكفار ... وابشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار ... قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النارِ
٦- أقسَمتُ بالله العَزيزِ الأَعظمِ ... وبالحجونِ صادقاً وزَمزَمِ
وبالحطيمِ والفنى المحرّمِ ... ليُخضبن اليومَ جِسمي بدمي
دونَ الحسينِ ذي الفخارِ الأقدَمِ ... إمام أهلِ الفضلِ والتكُّرمِ

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام/ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام/ ص٤٧٤
(٢) العباس بن علي عليه السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام/ الشيخ باقر شريف القرشي/ ص ٢٢٦.

الدرس الأول: التزود للآخرة

إن مصير هذه الدنيا لا بد أن يكون إلى الزوال والفناء، ونحن نسعى وراءها مع علمنا بحالها، وإيماننا بأن الآخرة خير وأبقى. وهذا ما تعجب منه رسول الله ﷺ بقوله: «**يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور**»[١].

لذلك لم تأت الروايات في ذم شيء كما جاءت في ذم الدنيا، حتى بلغ عددها مبلغاً كبيراً، إليك بعضها:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**إن في كتاب علي صلوات الله عليه: إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل، و يهوى إليها الصبي الجاهل**».[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً: «**فَارْفُضِ الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي ويُصِمُّ ويُبْكِمُ ويُذِلُّ الرِّقَابَ**»[٣].

وقال عليه السلام في وصفها: «**وما أصف لك من دار من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب**»[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ج١٩-٣٣٠.
(٢) الكافي الكليني: ج ٢ / ص ١٩٧.
(٣) نفس المصدر: ج ٢ / ص ١٣٦.
(٤) جامع السعادات: النراقي/ ج٢ص٢١.

وعن سيد الساجدين عليه السلام: «**وكُونُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ أَلَا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً والتُّرَابَ فِرَاشاً والْمَاءَ طِيباً وقُرِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيضاً أَلَا ومَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ومَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ومَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْه الْمَصَائِبُ...**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا شَرِبَ مِنْه الْعَطْشَانُ ازْدَادَ عَطَشاً حَتَّى يَقْتُلَه**»[٢].

وأحسن منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أَنَّ السَّلاَمَةَ فِيْها تَـرْكُ ما فِيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إِلاّ الَّتي كانَ قَبْلَ المَوْت بانِيها[٣]

لذا فإن العاقل الذي يدرك ذلك يجب عليه أن يكون متزوداً لآخرته قبل حلول أجله وانقطاع عمله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]. وقال أيضاً: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقد روي أن لقمان الحكيم قال لابنه: «**يا بني تعلمت بسبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها أربعة ومر معي إلى الجنة :أحكم سفينتك فإن بحرك عميق، وخفف حملك فإن العقبة كؤود، وأكثر الزاد فإن السفر بعيد، وأخلص العمل فإن الناقد بصير**»[٤].

و (التزود للآخرة) واحد من جملة تلك الدروس الأخلاقية الكبيرة التي نتعلمها

---

(١) الكافي الكليني/ ج ٢/ ص ١٣٢.
(٢) نفس المصدر: ج ٢/ ص ١٣٦.
(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام / مصطفى زماني/ ١٨١.
(٤) الاختصاص/ الشيخ المفيد/ ص٣٤١.

من مدرسة أبي الفضل العباس عليه السلام الرائعة، فقد جاء في زيارة الناحية المقدسة ما نصه: «**السلام على أبي الفضل العبّاس ابن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه...**»[1].

فكان عليه السلام متزوداً لآخرته لذلك أعطاه الله تعالى ما لم يعطِ أحداً غيره، يقول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته: «**وَاَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ اَفْسَحَها مَنْزِلاً، وَاَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي الْعِلِيّينَ**»[2]، وكلام الإمام هذا إخبارٌ عن منزلته وليس دعاءٌ له، فتنبه.

وبما أن الأجر في الآخرة على قدر العمل في الدنيا كماً وكيفاً؛ فإن أبا الفضل العباس عليه السلام كان أفضل الشهداء بعد الأنبياء والأئمة عليهم السلام بالتقوى والورع والزهد والعبادة والإيمان والتزود للآخرة... لأن منزلته أعلى وأشرف وأكمل منزلة يوم القيامة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إن للعباس عند الله (تبارك وتعالى) منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة**»[3].

ولاحظ -أيها العزيز- وتأمل الحديث جيداً وانظر إلى آخره؛ فإن الإمام عليه السلام يقول: «**يوم القيامة**»، ويوم القيامة جامع لجميع الشهداء من آدم عليه السلام إلى آخر أولاده، وهذا يعني أنه عليه السلام لم يصل إلى مقامه كل الشهداء على مر العصور حتى أمثال الحمزة عليه السلام وجعفر الطيار عليه السلام..

من هنا كان لأبي الفضل العباس عليه السلام حق كبير وحرمة عظيمة، وهذا ما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في زيارته: «**لعن الله من جهل حقك، واستخف بحرمتك...**»..

نعم، هكذا كان أبو الفضل العباس عليه السلام، وبهذا المستوى من الكمال.. ولنعم ما

(١) المزار/ محمد المشهدي/ ص٤٨٩.
(٢) مفاتيح الجنان/ الشيخ عباس القمي/ ص٥٩٨.
(٣) بلاغة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام :جعفر عباس الحائري: ٢٣٥.

أجاد به العلامة المحقق الكبير آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس سره، إذ قال:

وكيف لا وذاته القدسية ... مجموعة الفضائل النفسية
عليه أفلاك المعالي دائرة ... فإنه قطب محيط الدائرة
له من العلياء والمآثر ... ما جل أن يخطر في الخواطر
وكيف وهو في علو المنزلة ... كالروح من نقطة باء البسملة
وهو قوام مصحف الشهادة ... تمت به دائرة السعادة
وهو لكل شدة ملمة ... فإنه عنقاء قاف الهمة
وهو حليف الحق والحقيقة ... والفرد في الخلقة والخليقة[1]

(١) الانوار القدسية / الشيخ محمد حسين الأصفهاني/ ص١٤٣

الدرس الثاني : الحياء

الحياء على ضربين: ممدوح ومذموم، وكل واحد منهما على صور وأشكال..

أشكال الحياء الممدوح :

الأول: الحياء من الله تعالى:

وهو خير الحياء وأهمه، وأصل كل كمال ورقيّ، والحصن الحصين من ارتكاب المعاصي والذنوب، بل فعل ما لا يليق في محضر الله تعالى المطلع على السرائر، جاء في الحديث القدسي: «**ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحي أن أرده ويعصيني ولا يستحي مني**»[١].

وجاء في آخر: «**عبدي إنك إذا استحيت مني أنسيت الناس عيوبك وبقاع الأرض ذنوبك**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء، فقيل : يارسول الله، ومن يستحيي من الله حق الحياء ؟ فقال : من استحيى من الله حق الحياء، فليكتب أجله بين عينيه، وليزهد في الدنيا وزينتها، ويحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما طوى، ولا ينسى المقابر والبلى**»[٣].

---

(١) ارشاد القلوب / الحسن بن محمد الدليمي/ ج١ص١١٢.

(٢) نفس المصدر: ج١ص١١١.

(٣) مستدرك الوسائل / ميرزا حسين النوري الطبرسي/ ص٤٥

ويجب أن يكون هذا الحياء في السر مثل العلن، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم**»[١].

الثاني: الحياء من الناس:

وهو مرتبط بالحياء من الله ارتباطاً وثيقاً ومتفرع منه، فإذا ذهب الحياء في أحد المقامين ذهب في الآخر ولم تبقَ منه ذرةٌ واحدة. نعم، قد يستحي من الناس من لم يستح من الله، إلا أن حياءه هذا كاذب ظاهري لا واقع له في قرارة نفسه وأعماق قلبه، يقول الإمام علي عليه السلام: «**من لم يستح من الناس لم يستح من الله سبحانه**»[٢]، وكما قال الشاعر:

إذا لم تصن عرضاً ولم تخشَ خالقاً وتستحِ مخلوقاً فما شئت فاصنعِ

ويدخل في هذا القسم: الحياء من الأنبياء والأوصياء، بل قد يكون تركه معهم كفراً أو نفاقاً، وهو أهم وأشرف مصاديق الحياء من الناس.

الثالث: الحياء من الملكين:

والملكان الموكّلان بالإنسان لكتابة أعماله الصالحة والطالحة هما مخلوقان مباركان، لا يلهوان عن عبادة ربهما ولا يفتران. والمؤمن يعظم جميع خلق الله خصوصاً من كان عالماً عابداً.

وعليه، فهما مما ينبغي للمؤمن أن يستحي منه، فلا يفعل أمامهما ما يسقطه في نظرهما ويقلل من شأنه عندهما؛ إذ إنه سيراهما يوم القيامة ويخرجان له جميع أعماله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليستح أحدكم من ملكيه اللذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين**

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج١-ص٧١٩.
(٢) نفس المصدر: ج١-ص٧١٨.

من جيرانه، وهما معه بالليل والنهار»[١].

الرابع: الحياء من النفس:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحسن الحياء استحياؤك من نفسك**»[٢]، ويقول أيضاً: «**حياء الرجل من نفسه ثمرة الإيمان**»[٣].

هذا وهناك روايات كثيرة مدحت الحياء بصورة مطلقة من دون المتعلقات السابقة، نذكر منها:

١. عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «**الحياء مفتاح كل خير**»[٤].
٢. وعنه عليه السلام «**سبب العفة الحياء**»[٥].
٣. وعنه ايضاً«**الحياء يصد عن الفعل القبيح**»[٦].
٤. وعنه ايضاً «**مَن كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه**»[٧].
٥. وعن أبي عبد الله عليه السلام «**من لم يستحي من العيب، ويرعوي عند الشيب، يخشى الله بظهر الغيب، فلا خير فيه**»[٨].

والحياء مطلوب من النساء بصورة أشد وآكد، لذلك قد بين الله حال المرأة التي سقى لها النبي موسى عليه السلام ووصف مشيتها، فقال: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى

(١)ميزان الحكمة / محمد الريشهري:ج١-ص٧١٩.
(٢) نفس المصدر-ج١-ص٧١٩.
(٣) نفس المصدر:ج١-ص٧٢٠.
(٤) سر الإسراء في شرح حديث المعراج/ الشيخ علي سعادت/ ص٣٢٧.
(٥) ميزان الحكمة / محمد الريشهري-ج١-ص٧١٧.
(٦) نفس المصدر:ج١-ص٧١٧.
(٧) نفس المصدر:ج١-ص٧١٦.
(٨) نفس المصدر:ج١-ص٧١٩.

ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴾ [القصص: ٢٥]. وعموماً، فيكفيك في عظمة الحياء أن الله تعالى به كما جاء في الكثير من الروايات وقد مرَّ عليك بعضها.

أشكال الحياء المذموم

الأول: الحياء من فعل الخير:

والكثير من الناس مبتلون بهذه الحالة، فتراه لا يتصدق أو لا يذهب إلى المسجد أو لا يقبّل يد والديه أو لا يتواضع حياءً من الناس، وتعساً له من حياء، قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «**لا تعمل شيئاً من الخير رئاءً ولا تدعه حياءً**»[1].

الثاني: الحياء من قول الحق:

وهو حماقة ما بعدها حماقة، قال الإمام علي عليه السلام: «**من استحيى من قول الحق فهو أحمق**»[2].

الثالث: الحياء من طلب الرزق:

وقد يصل بعض الناس من جراء حيائهم إلى درجة عدم السعي لطلب الرزق الحلال فتراه يبقى عاطلاً عن العمل ولا يعمل ويتكسب؛ لأنه يستحي من أن يعمل بعض الأعمال فيضر بنفسه وبعياله.

وهذه صفة غير جيدة ومذمومة، وعلى من ابتلي بهذا المرض أن يتغلب عليه بالإقدام وعدم المبالاة بالعواقب وكلام الناس ونظرتهم لأن ذلك لا قيمة له أبداً، ويشير إلى ذلك

(١) تحف العقول عن آل الرسول / ابن شعبة الحراني/ ص٥٨.
(٢) ميزان الحكمة / محمد الريشهري-ج١-ص٧١٨.

ما جاء عن الإمام علي عليه السلام: «**الحياء يمنع الرزق**»[١].

وللحياء المذموم مصاديق كثيرة تدخل كلها تحت عنوان(الحياء من الخير) مثل ما ينطبق عليه مفهوم الخير ويستحي منه فإن هذا الحياء مذموم.

وبعد أن ميزنا بين الحياء الممدوح والحياء المذموم، نقول فإن الحياء الممدوح من أجلّ الدروس الأخلاقية العظيمة التي تجسدت في سيرة أبي الفضل العباس عليه السلام بحيث لم يفارقه هذا الحياء إلى آخر لحظة من حياته المباركة، فقد جاء في كتب السير والتاريخ ما نصه: «لمّا جاء الحسين عليه السلام إلى أخيه العبّاس انتحى عليه ليحتمله ففتح العبّاس عينيه فرأى أخاه الحسين يريد أن يحمله، فقال له : إلى أين تريد بي يا أخي ؟ !

فقال عليه السلام: **إِلَى الْخَيْمَةِ !** فقال : أخي، بحقّ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله عليك أنْ لا تحملني، دعني في مكاني هذا ! فقال الحسين عليه السلام: **لِماذا؟**

قال : إنّي مستحٍ من ابنتك سكينة، وقد وعدتها بالماء ولم آتها به !»[٢].

وإني لأقسم أن أعرف العرفاء وأعبد العُبّاد في مثل تلك اللحظة وهذه الظروف؛ لا يفكر بمثل هذا التفكير الأخلاقي الرفيع؛ لأمور عديدة:

١. أن الذي استحى منه أبو الفضل العباس عليه السلام طفلة صغيرة لم تبلغ السنة من عمرها.

٢. أنه أدى الذي عليه، بل وفوق ما كُلّف به، وكان معذوراً في عدم إيصاله الماء.

٣. أنه كان في حال يرثى لها لم يكن عليها أحد من قبله، حيث إنه قد قطعت يداه كعمه جعفر الطيار عليه السلام وزاد عليه بالسهم الذي في عينه وضربة العمد على رأسه

(١)ميزان الحكمة / محمد الريشهري:ج١-ص٧١٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام/ ص٥٦٩.

وعشرات السهام والطعنات.

٤. إن سكينة بنت سيد الأخلاق ومعلمها، فلا يمكن أن تسأله عن الماء أو تعاتبه على عدم إيصاله لها مع ما تراه من حاله.

إن كل هذه العوامل كانت تدعو -بحسب نظرنا- إلى عدم الالتفات إلى الحياء من طفلة صغيرة في ذلك الظرف العجيب والحال العصيب إلّا أنه أبى إلّا أن يكون حيياً من أول أنفاسه إلى آخرها.

نعم، الحياء درس عملي مهم نتعلمه من حياة أبي الفضل العباس عليه السلام الذي كلما تأملت في معالم شخصيته بقيت مذهولاً وأيقنت أنه أفضل مَن على وجه الأرض ممن اطّلعنا على أحوالهم ووقفنا على آثارهم بعد المعصومين من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

أبو الإباء وابن بجدة اللقا ... رقى من العلياء خير مرتقى
ذاك أبو الفضل أخو المعالي ... سلالة الجلال والجمال
شبل علي ليث غابة القدم ... «ومن يشابه أبه فما ظلم»
صنو الكريمين سليلي الهدى ... علما وحلما شرفا وسؤددا
هو الزكي في مدارج الكرم ... هو الشهيد في معارج الهمم
وارث من حاز مواريث الرسل ... أبو العقول والنفوس والمثل[1]

(١) الأنوار القدسية: الشيخ محمد حسين الاصفهاني: ص١٤١.

الدرس الثالث : الغيرة والحمية

إن للغيرة والحمية مصاديق عديدة؛ أجلاها مفهوماً: غيرة الرجل على نسائه؛ بأن لا يسمح لهن بمخالطة الرجال وإبراز زينتهن للأجنبي.. يقول الإمام علي عليه السلام: «**أَمَا تَسْتَحْيُونَ ولَا تَغَارُونَ نِسَاءَكُمْ يَخْرُجْنَ إِلَى الأَسْوَاقِ ويُزَاحِمْنَ الْعُلُوجَ**»[1]، ويقول في وصية له لمحمد بن الحنفية: «...**شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ ولَهُنَّ مِنَ الِارْتِيَابِ ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا تَثِقُ بِه عَلَيْهِنَّ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ مِنَ الرِّجَالِ فَافْعَلْ..**»[2].

ومن ذلك أن يحيى المازني يقول: «كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلا والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها،فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن عليه السلام مرة عن ذلك فقال عليه السلام: **أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب**»[3].

والذي يخرج عن هذه الجادة ولا يهتم بتبرج زوجته فهو ذو قلبٍ منكوس قد انقلب عن المبادئ الحقة والمسار الصحيح، يقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «**إذا لم يغر الرجل**

---

(١) الكافي : الشيخ الكليني: ج٥ص٥٣٧.
(٢) نفس المصدر: ج٥ص٥٣٨.
(٣) وفيات الأئمة : ص٤٣٦.

فهو منكوس القلب»[١]. ولا يظن الرجل أن زوجته إذا تزينت وخرجت من البيت فإن إثمها عليها وليس عليه شيء! فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «...**والمرأة إذا خرجت من باب دارها متزينة متعطرة والزوج بذلك راضٍ يُبنى لزوجها بكل قدم بيتٌ في النار**»[٢].

بالإضافة إلى أن خروجها بالزينة من دارها منكر يجب على الزوج أن ينهاها عنه فإنه إذا تركها تخرج بهذا الحال فقد ترك واجباً عظيماً. وكما قد أمرنا الله بأن نهتم بإصلاح العيال، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]. وكثيراً ما تصف الروايات هذا القسم من الرجال بالديوث، ومعنى الديوث، : هو الذي لا يغار على أهله.

أما بعد وبعدُ فقد عُرف أبو الفضل العباس عليه السلام بشدة غيرته وحميته على عياله، وتفانيه في حمايتهم، فقد جاء في زيارته: «**فنعمَ الصابر المجاهد المحامي...**»، حتى صار من ألقابه (حامي الظعينة)، والظعينة هي المرأة في الهودج. يقول الشيخ محمد حسين الأصفهاني في مرثيته الجميلة[٣]:

وأيـــن مـــن ودائـــع الـنـبـوة ... ممـثـل الـــغـــيرة والـفـتـوة
وأيـن منها رب أربـاب الأبا ... إذ هجم الخيل عليهن الخبا

لذلك فإن مهمة كفالة السيدة زينب عليها السلام قد أنيطت به دون غيره؛ لما كان عليه من الغيرة والحمية.

فعلى كل مؤمن أن يتعلم من العباس عليه السلام هذا الدرس، خصوصاً هذه الأيام التي أفرزت لنا من الرجال عديمي الغيرة ما تحار منه العقول!! فصار بعض الرجال لا

(١) الكافي : الشيخ الكليني: ج٥ص٥٣٦.
(٢) بحار الأنوار : العلامة المجلسي:ج١٠٠ص٢٤٩.
(٣) الأنوار القدسية: ص١٤٨.

يرضى لزوجته إلا بالسفور والتبرج، وبعضهم ترك رجولته بالمرة فصار هو كالنساء في مشيته ولبسه وكلامه وتصرفاته!! فسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الدرس الرابع: الأُخوّة

لا تنحصر (الأخوة) في المفهوم الإسلامي بأخوة النسب أو السبب، بل إن الأخوة في الإسلام تشمل جميع المؤمنين.. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات: ١٠]، وقال أيضاً: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولأهمية تآخي أفراد المجتمع المسلم فيما بينهم إهتم الإسلام بذلك اهتماماً كبيراً إلى درجة أن قد جاء في الحديث الشريف: «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الاسلام مثل أخٍ يستفيده في الله عز وجل**»(١)، وفي حديث آخر: «**النظر إلى أخٍ توده في الله عزوجل عبادة**»(٢)، وفي آخر: «**من استفاد أخاً في الله عزوجل استفاد بيتاً في الجنة**»(٣).

وقد ورد الأمر باستكثار الإخوان في الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**استكثروا من الإخوان؛ فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة**»(٤). ولكن الأخوة لا تكون بهذا المستوى إلا أن يتحقق أمران مهمّان:

الأول:- أن تكون الأخوة في الله تعالى لا لأجل المصالح والمطامع وما شاكل ذلك

---

(١) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج١/ ص٤٠.
(٢) الأمالي للطوسي / ج ٢ / ص ١٩ / ح ١٠١٥.
(٣) نفس المصدر:ج ١ / ص ٩١/ ح ١٢٤.
(٤) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج١ / ص٣٩.

من الأهداف الدنيوية المحضة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من آخى في الله غنم، ومن آخى في الدنيا حرم**»[١]، وقال: «**كل مودة مبنية على غير ذات الله ضلال، والاعتماد عليها محال**»[٢]، وقال أيضاً: «**الناس إخوان، فمن كانت اخوته في غير ذات الله فهي عداوة، وذلك قوله عزوجل: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾**»[٣].

الثاني:- أن يكون الأخ صالحاً لا طالحاً، لذلك قد ورد التحذير من مصاحبة نماذج عديدة، نذكر منها:

١. الأحمق الكذاب: ففي الحديث: «**إيّاك وصحبة الأحمق الكذّاب، فإنّه يريد نفعك فيضرّك، ويقرّب منك البعيد، ويبعّد منك القريب، إن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك أهانك، وإن حدّثك كذّبك، وإن حدّثته كذّبك، وأنت منه بمنزلة السراب الّذي يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً**»[٤].

٢. صاحب المصالح الدنيوية: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**احذر أن تؤاخي من أرادك لطمع أو خوف أو ميل أو للأكل والشرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض وإن أفنيت عمرك في طلبهم**»[٥].

٣. الضال المضل: فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٨، ٢٩].

---

(١) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج١/ ص٤٠.
(٢) نفس المصدر/ ج١/ ص٤٠.
(٣) نفس المصدر/ ج١/ ص٤٠.
(٤) بحار الأنوار / ج ٧١/ ص١٩٣.
(٥) مصباح الشريعة / ب ٧١/ ص ١٥٠.

٤. الفاجر: فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لا تصحب الفاجر؛ فيعلمك من فجوره**»(١).

٥. البخيل: فقد جاء عنه أيضاً: «**وإياك ومصاحبة البخيل؛ فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه**»(٢).

٦. الكافر: فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخين كافراً**»(٣).

٧. صاحب البدع: قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم، فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه**»(٤).

٨. متتبع العيوب: فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**إياك ومعاشرة متتبعي عيوب الناس، فإنه لم يسلم مصاحبهم منهم**»(٥).

٩. الشرير: فقد جاء عن الباقر عليه السلام أنه قال: «**إياك وصحبة من ألهاك وأغراك، فإنه يخذلك ويوبقك**»(٦).

١٠. الذي لا يريد صداقتك: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا ترغبن فيمن زهد فيك، ولا تزهدن فيمن رغب فيك**»(٧).

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص١٩١.
(٢) نفس المصدر/ ج ٧١ / ص١٩٦.
(٣) صفات الشيعة – للصدوق / ص ٧ / ح ٩.
(٤) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٠١.
(٥) غرر الحكم / ص ٤٣٣ / ح ٩٨٨٧.
(٦) نفس المصدر/ ص ٤٣٣ / ح ٩٨٩٠.
(٧) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ١٦٦.

هذه بعض النماذج التي ورد المنع باتخاذها إخواناً وأصحاباً.

وخلاصة القول في صفات الأخ الذي يتخذ صاحباً أن يكون على الصف الذي بينه الإمام الحسن عليه السلام حيث قال: «**اصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت عنك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نزلت إحدى الملمات به ساءك**»[١].

وعليه، فإذا كان المطلوب من المؤمن أن يتجنب أخا السوء وأن يصحب أخا الإيمان، فلا بد إذن من اختبار من يريد مصاحبته، وهذا ما نادت به بعض الروايات، منها ما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قدم الاختبار في اتخاذ الإخوان، فإن الاختبار معيار يفرق بين الأخيار والأشرار**» [٢]. وعنه عليه السلام: «**قدم الاختبار، وأجد الاستظهار في اختيار الإخوان وإلا ألجأك الاضطرار إلى مقارنة الأشرار**»[٣].

وأما بأي شيء يكون الاختبار، فهذا ما بينه الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**اختَبِروا إخوانَكُم بِخَصلَتَينِ، فَإن كانَتا فيهِم وإلّا فَاعزُب ثُمَّ اعزُب ثُمَّ اعزُب: مُحافَظَةٍ عَلَى الصَّلَواتِ في مَواقيتِها، والبِرِّ بِالإخوانِ فِي العُسرِ واليُسر**»[٤].

ولكن ينبغي الالتفات إلى أن الاختبار ليس معناه التفتيش والتجسس وما إلى ذلك، فقد جاء في الحديث الشريف: «**لا تفتّش الناس عن أديانهم فتبقى بلا صديق**»[٥].

---

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ١٣٩.
(٢) غرر الحكم / ص ٤١٦ / ح ٩٤٩١.
(٣) نفس المصدر: ص ٤١٦ / ح ٩٤٩٢.
(٤) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج١/ ص ٤٨.
(٥) نفس المصدر :ج١/ ص ٤٥.

ولا يكون الأخ صادقاً في إخائه حتى يواسي أخاه بنفسه وماله، كما جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الإخوان ثلاثة: مُواسٍ بنفسه، وآخر مواس بماله، وهما الصادقان في الإخاء...**»[1].

وهذا الذي كان عليه أبو الفضل العباس(روحي له الفداء)، فقد جاء في زيارته التي نطق بها الإمام المعصوم عليه السلام: «**أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي...**». **وجاء في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه»**.

يقول الشيخ جعفر بن نما الحلي رحمه الله في أبيات له:

حقيقٌ بالبكاءِ عليهِ حزناً ... أبو الفضلِ الذي واسى أخاهُ
وجاهدَ كلّ كفّارٍ ظلومٍ ... وقابلَ من ضلالهمُ هداهُ
فداهُ بنفسهِ لله حتّى ... تفرّقَ من شجاعتهِ عداهُ

بل إنه كان مواسياً لأخته السيدة زينب عليها السلام، يقول الشيخ محمد الكلباسي النجفي: «... فكان أبو الفضل العبّاس عليه السلام نِعْمَ الأخ المواسي ليس لأخيه فحسب، بل لأُخته أيضاً ؛ فإنّه هو الذي واسى أخاه الإمام الحسين عليه السلام في عطشه، فلم يشرب الماء مع الحصول عليه والوصول إليه، كما إنّه واسى في نفس الوقت أخته المكرّمة عقيلة بني هاشم السيّدة زينب عليها السلام عطشها وظمأها أيضاً، إضافة إلى وفائه بالعهد لهما، وتنفيذه وصيّة أبيه بالنسبة إليهما «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[2]. انتهى كلامه قدس سره.

نعم، إن أخوّة أبي الفضل العباس عليه السلام كانت تحمل جميع معاني الأخوة الصادقة

(١) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج١/ ص ٤٣.
(٢) الخصائص العباسية – الكلباسي / ص ٢٢٤.

النقية التي أرادنا الإسلام أن نكون عليها، حتى صارت أخوته مثلاً شائعاً بين الناس يرددونه في مجالسهم وأحاديثهم.. وما من أدبٍ ذكره الإسلام للأخوة إلا ورأيته متجسداً في أخوته لسيد الشهداء عليه السلام من الصدق والوفاء والنصيحة والمواساة، وما إلى ذلك..

وما من صفة سيئة في أخوة أصدقاء السوء إلا ورأيتها بعيدة عنه بعد السماء السابعة عن الأرض السابعة وأبعد.. فلم تكن أخوته دنيوية بل كانت خالصة لوجه الله تعالى.

آخيتَ في الله الحسين فنعم من ... آخيت يا من كان نعم مواسي
مثلَ الأخوة صرت يا رمز الإخا ... بالحق صار حديث كل الناسِ
صدقٌ وفاءٌ عزةٌ وشهامةٌ ... حبٌّ ثباتٌ مثل طودٍ راسي

الدرس الخامس: الإيثار

السماحة والجود والسخاء كلها بمعنى (الكرم)، وهو من الفضائل النفسية الكبيرة والأخلاق الحميدة، يقع ثمرة للزهد في الدنيا، فمن كان زاهداً لا بد أن يكون كريماً.. كما وأنه يقع بين رذيلتين (البخل) و (الإسراف). وقد حذر الشارع المقدس منهما، فقال تعالى فيما يخص البخل: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ٣٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**جَاهِلُ سَخيٌّ اَحَبُّ اِلَى الله مِنْ عَابِد بَخيل**»(١). وقال صلى الله عليه وآله: «... **والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار**»(٢). وقال الإمام الهادي عليه السلام: «**البخل أذم الأخلاق**»(٣).

وقال تعالى فيما يخص الإسراف والتبذير: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذر، ومن أنفق**

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٣٥٧.
(٢) نفس المصدر: ج ٦٨ / ص ٣٥٢.
(٣) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١/ ص ٢٣٣.

في سبيل الخير فهو مقتصد»[١]. والسبيل للوصول إلى الكرم من دون الوقوع في البخل والإسراف تطبيق قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

ثم إن أعلى درجات الكرم وأكملها هو (الإيثار)، يقول الإمام علي عليه السلام: «**الإيثار أعلى المكارم**»[٢]، ويقول: «**أفضل السخاء الإيثار**»[٣]، ويقول أيضاً: «**الإيثار أشرف الكرم**»[٤]؛ وذلك لأن الكرم هو البذل مع عدم الحاجة، وأما الإيثار فهو البذل مع وجود الحاجة الماسة، قال تعالى: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾[الحشر: ٩].

كما وأن الإيثار قد يكون ببذل النفس والحياة من أجل نفس أخرى؛ كما صنع الإمام علي عليه السلام ليلة المبيت، حيث آثر حياة رسول الله صلى الله عليه وآله على حياته وبات على فراشه، وأقدم على ذلك الخطر العظيم غير مبالٍ بالعواقب الوخيمة، فباهى الله به ملائكته وأنزل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[البقرة: ٢٠٧].

وهكذا كان ابنه الإمام الحسن عليه السلام حتى لُقّب بـ (كريم أهل البيت). وقد ظهر من إيثار الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف ما تحار منه العقول؛ إذ أنه آثر الحصان على نفسه، فقال له عندما أراد أن يشرب الماء: «**أنت عطشان وأنا عطشان والله لاذقت الماء حتى تشرب**»[٥].

---

(١) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١/ ص ٢٤٦.
(٢) غرر الحكم / ص ٣٩٥ / ح ٩١٥٩.
(٣) نفس المصدر: ص ٣٩٦ / ح ٩١٦٤.
(٤) نفس المصدر: ص ٣٩٥ / ح ٩١٥٧.
(٥) بحار الأنوار / ج٤٥/ ص٥١.

وقد آثرت أمهما فاطمة الزهراء عليها السلام المسكين واليتيم وابن السبيل على نفسها وعيالها حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[الإنسان: ٨].. فكان الإيثار شعاراً لهذا البيت الطاهر في جميع مراحل الحياة ولجميع أفراده.

وقد ترى أبا الفضل العباس عليه السلام في نفس هذا البيت، فكان كما كانوا، فألهم للأجيال المتلاحقة درساً في (الإيثار) في غاية من الروعة والجمال، فقد جاء ما نصه: «...قصد نحو الفرات فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات، ورموه بالنبال فكشفهم وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلا حتى دخل الماء. فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء، ذكر عطش الحسين وأهل بيته، فرمى الماء وملأ القربة...»[1]، فلم يشرب الماء إيثاراً منه على نفسه، وفي ذلك يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**رحم الله العبّاس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه**»[2].

ويقول الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله مشيراً إلى ذلك في أرجوزته الجميلة:

آثر بالماء أخاه الظامي ... حتى غدا معترض السهام
ولا يهمه السهام حاشا ... من همه سقاية العطاشا
فجاد باليمين والشمال ... لنصرة الدين وحفظ الآل

ويقول الشيخ عبد الحسين صادق العاملي رحمه الله:

من حيدر هو بضعة وصفيحة ... من عزمه مشحوذة بمضائه
واسى أخاه بموقف العزّ الذي ... وقفت سواري الشهب دون علائه
ملك الفرات على ظماه وأُسوة ... بأخيه مات ولم يذق من مائه

كما وإنه آثر الإمام الحسين عليه السلام على إخوته من أم البنين عليها السلام، فقدمهم للموت

(١) بحار الأنوار / ج ٤٥ / ص ٤١.
(٢) الخصال / للشيخ الصدوق / ج ١ / ص ٦٨ / ح ١٠١

قائلاً: «تَقدَّموا ، بنفسي أنتم! فحاموا عن سيّدكم حتى تموتوا دونه»[١].. فالإيثار درس أخلاقي كبير من دروس هذه الشخصية التي بلغت ما بلغت من الكمال المعنوي حتى وصل إلى هذا المستوى من العطاء.

آثرتَ بالنفس العزيزة فانحنت لك يا أبا الفضلِ كلُّ ذوي الفضلِ

(١) موسوعة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري: ج١ ص١٣٥.

الدرس السادس: الخوف من الموت

الموت بالنسبة لنا -نحن الذين لا يمر علينا يوم إلا وعصينا الله فيه- أكبر شدة وأخوف موقف؛ وذلك لأن حال العصاة عند الموت مهول إلا من رحم ربي..

ولكن قد يصل بعض النوادر من الأولياء -وعادةً ما يكونون من العلماء- لمرحلةٍ لا يخافون عندها من ذلك الموت، بل يتمنونه وينتظرونه لشوقهم إلى الله تعالى؛ وذلك لأنهم (لم يتركوا واجباً، ولم يفعلوا محرماً)، وسارعوا لكل خير، وانتهوا عن كل شر، وهكذا.. كل ذلك كان منهم بصدق وإخلاص، فلماذا الخوف إذن، وهم يقبلون على النعيم الذي ليس مثله نعيم البتة ؟! وهذا ما بينه الإمام الجواد عليه السلام عندما سئل : ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت ؟

قال: «**لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله (عزوجل) لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا**»[1]. ولذلك فإن الله سبحانه قال لليهود عندما ادعوا أنهم أولياء الله وأحباؤه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

فأولياء الله تعالى لا يخافون الموت، ولكن هذا لا يعني أنهم لا يخشون ربهم.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وذلك لأنهم كلما ازدادوا معرفةً وعلماً بالله تعالى ازدادوا خوفاً وخشية منه.

وروي أن نبي الله سليمان عليه السلام عندما جاءه مَلَك الموت يقبض روحه، قال له: «**امضِ**

(١) بحار الأنوار / ج ٦ / ص ١٥٦.

لما أُمرتَ به، فهذا يوم سروري...»[١].

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحتُ أرجو أن أموت فأعتقا
في المـوت ألـف فضيلة لـو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا[٢]

وجاء عن سيد العارفين علي عليه السلام: «**والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه**»[٣].

وأتصور أن هذه المرحلة (عدم الخوف من الموت) لا يصل إليها المؤمن إلا إذا كان (على حق) إلى آخر عمره طاعة للحق سبحانه، وهذا ما بيّنه علي الأكبر عليه السلام عندما سأل والده الحسين عليه السلام : «يا أبتِ لا أراك الله سوءا ألسنا على الحق؟ قال : **بلى والذي إليه يرجع العباد** ، قال : فإذا لا نبالي ان نموت محقين»[٤]، وفي رواية أخرى: «لا نُبالي أوَقَعنا على الموت أم وقَعَ الموت علينا»[٥].

وهكذا كان أبو الفضل العباس عليه السلام، فأين مقامه السامي من خوف الموت؟! بل إنه كان لا يطيق صبراً عن لقاء الله تعالى، فقد روي أنه لما رأى جميع عسكر الحسين عليه السلام قد قتلوا وإخوته وبني عمه «بكى وأنَّ إلى لقاء ربه، اشتاق وحنَّ».. وهذا ما تجلى بشكل واضح في أشعاره يوم الطف، حيث إنه كان يرتجز ويقول:

لا أرهـبُ المـوتَ إذا المـوتُ رَقَا حتّى أُوارَى في المصاليت لقَا
إنّي أنـا العـبّاسُ أغـدو بالسّقَا ولا أهابُ الموتَ يومَ المُلتقَى[٦]

---

(١) بحار الأنوار / ج ١٤ / ص ١٣٦.
(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي:ص ٣١٣.
(٣) نفس المصدر: ج ١٤ / ص ١٣٦.
(٤) روضة الواعظين: الفتال النيسابوري:ص١٨٠.
(٥) أضواء على ثورة الامام الحسين عليه السلام:السيد محمد الصدر:ص١١٥.
(٦) العبّاس عليه السلام:السيّد عبد الرزّاق الموسوي المُقرّم: ص٢٥٥.

وانظر إلى كلامه وتأمله، حيث إنه أكّد على عدم خوفه من الموت، إذ قد كرر ذلك مرتين في صدر البيت الأول وفي عجز البيت الثاني من شعره، وبالإضافة إلى عدم خوفه من الموت فهو لا يهابه أصلاً، وهذا ما لم يصل إليه غيره قط.. فإن المؤمن مهما وصل من مقام فإن الموت يبقى شيئاً مهاباً له حسابه، ولكنّ أبا الفضل العباس عليه السلام فوق هذا المستوى..

وهذا درس من دروسه، ولكن ليس لنا نحن المذنبين، بل لخاصة الخواص من أولياء الله تعالى.

الدرس السابع : الشجاعة

إن لقوة الغضب مظاهر وأثر على الإنسان بحسب نسبة وجودها في نفسه، فإن انعدمت أو أصبحت شبه معدومة كان الأثر الذي يتخلف عند ذلك هو (الجُـبْـن)، وهو من الصفات المعيبة، .قال الإمام علي عليه السلام: «**شِدَّةُ الْجُبْنِ مِنْ عَجْزِ النَّفْسِ وَضَعْفِ الْيَقِينِ**»(١)، وقال أيضاً: «**احذروا الجبنَ فإنه عارٌ ومنقصة**»(٢)وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَاناً وَلاَ حَرِيصاً وَلاَ شَحِيحاً**»(٣).

فعلى كل مؤمن أن لا يكون جباناً في أعماق شعوره ونفسه، ويجب أن يتخلص من هذا المرض، وليعلم أنه ينافي إيمانه وتقواه، لا كما يحدث للبعض من الأغلاط فيظن أن الإنسان إذا صار إلى درجة من الإيمان فيجب أن يسكت عن جميع ما يهينه ويشينه؛ وذلك لأن بعض الأمور لا تتحمل السكوت بل تستحق الموت دونها..

وإن بلغت قوة الغضب مبلغاً فوق الاعتدال والوسطية كان أثرها (التهور)، قال الإمام العسكري عليه السلام: «إن... للشجاعة مقداراً فإن زاد عليه فهو تهوّر»(٤). ونستطيع أن نعرف التهور -من الموقع الأخلاقي- بأنه هو دفع النفس في مواطن التهلكة مع عدم وجود مصلحة لذلك. وهذا ما لم يسمح به الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

(١) غرر الحكم / ص ٢٦٣ / ح ٥٦٦٢.
(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٣ / ح ٥٦٦٠.
(٣) بحار الأنوار / ج ٦٤ / ص ٣٦٤.
(٤) نفس المصدر / ج ٦٦ / ص ٤٠٧.

﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥].

وإن كانت قوة الغضب على مستوى (الاعتدال) فهي الشجاعة، وهي قوة النفس وثباتها في شتى الميادين، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن المؤمن أشد من زبر الحديد، إن زبر الحديد إذا دخل النار تغير وإن المؤمن لو قتل ثم نشر ثم قتل لم يتغير قلبه**»(١).

والشجاعة مفهوم واسع أعم من الإقدام بالسيوف في المعارك والحروب، نعم ذلك من أبرز مصاديقها إلا أن الوقوف في وجه الجهل والجزع والبخل بالعلم والصبر والكرم يعد في الروايات من الشجاعة، قال الإمام علي عليه السلام: «**أشجع الناس من غلب الجهل بالعلم وقابل الغضب بالحلم**»(٢). وقال عليه السلام: «**أشجع الناس أسخاهم**»(٣).

والشجاعة من جملة الدروس التي سطرها أبو الفضل العباس عليه السلام في واقعة كربلاء، فظهر منه ما لم يظهر من غيره من البسالة والثبات، فهو ابن ذاك الذي لم يقم الإسلام إلا على سيفه.. فكان في صولاته وكراته على الأعداء كما كان أبوه من قبله في غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله..

له اليد البيضاء في الكفاح	وكيف وهو مالك الأرواح
يمثل الكرار في كراته	بل في المعاني الغر من صفاته
صولته عند النزال صولته	لولا الغلو قلت جلت قدرته
هو المحيط في تجولاته	ونقطة المركز في ثباته
سطوته لولا القضاء الجاري	تقضي على العالم بالبوار(٤)

(١) صفات الشيعة – للصدوق / ص ٢٩ / ح ٤٧.
(٢) عيون الحكم والمواعظ – الليثي / ص ١١٥ / ح ٢٥٣٩.
(٣) نفس المصدر: ص ١١٧ / ح ٢٦١٧.
(٤) الأنوار القدسية: الشيخ محمد حسين الاصفهاني: ص١٤٥.

ويقول الشيخ علي اليعقوبي:

فتى ذكَّر القومَ مُذ راعهم أباهُ الفتى البطل الأروعا
إذا ركَع السيفُ في كفِّه هَوت هامُهم سُجّداً رُكعاً[1]

فما هي الشجاعة التي تحلت بها تلك النفس الشريفة؟! بحيث تقدم على أربعة آلاف من الجنود مسلحين بالسيوف والرماح!! ومع ذلك كشفهم وقتل منهم ثمانين رجلاً في أول صولة ووصل إلى الماء ثم أخذ الماء بالقربة.. ويكفيك أنهم لم يستطيعوا قتله مع كثرتهم ووحدته إلا بالغدر والغيلة..

إن هذا يكشف لنا أن قتال أبي الفضل العباس عليه السلام كان بقوة من الله تعالى.. فعلى كل الأجيال أن تأخذ هذا الدرس من هذا المدرِّس الملهم معالي الأخلاق لكل العالم.

(١) العبّاس رجل العقيدة والجهاد: السيد محمد علي الاشيقر: ص٢٠٤.

الدرس الثامن: سقاية الماء

لقد بينت الأحاديث الشريفة فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً لسقاية الماء، ويكفي في معرفة عظمة ومحبوبية هذا العمل أنه من أخلاق الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

ومع أن موسى عليه السلام كان في تعب شديد، حيث إنه قطع مسافة تقارب (٥٨) ميلاً -على ما قيل- وكان طيلة أيام سفره يأكل من نبات الأرض وأوراق الشجر؛ لأنه خرج خائفاً هارباً ولم يكن معه زاد ولا ماء، إلا أنه لم يترك هذا العمل وسقى لماشيتهما ثم ذهب من تعبه إلى الظل..

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية (سقي الماء) حتى للحيوانات، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**من سقى ظمآناً ماءً سقاه الله من الرحيق المختوم**»[١] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى يحب إبراد الكبد الحرى ومن سقى كبداً حرى من بهيمة أو غيرها أظله الله يوم لا ظل إلا ظله**»[٢]. وقال عليه السلام:، «**من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً**»[٣].

(١) بحار الأنوار / ج ٩٣ / ص ١٧٢.
(٢) نفس المصدر: ج ٩٣ / ص ١٧٢.
(٣)نفس المصدر: ج ٩٣ / ص ١٧٠.

ويقول رسول الله ﷺ: « **أفضل الأعمال إبراد الكبد الحرى**»[١].

وهذا ما كان يفتخر به أبو الفضل العباس عليه السلام يوم الطف في أراجيزه، حيث كان يقول:

إنّي أنَـا الْعبّاس أغْـدُو بِالسَّقا ولا أخافُ الموتَ يوْمَ المُلْتقى[٢]

حتى صار من كناه (أبو قربة)، ومن ألقابه (السقّاء).. فهنيئاً لمن أخذ منه هذا الدرس وراح يسقي زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الزيارات المليونية وغيرها، وخصوصاً في المناطق التي لا يوجد فيها ماء أثناء الطريق..

هذا وقد أعطى أبو الفضل عليه السلام درساً آخر في آداب السقاية، حيث ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليشرب ساقي القوم آخرهم**»[٣]، فكان ملتزماً بهذا الأدب؛ إذ أنه لم يشرب الماء مع تمكنه منه وأراد أن يشرب أخوه الحسين عليه السلام وعياله أولاً.

وهذا ما يكشف لنا عن علة طلب الإمام الحسين عليه السلام من أبي الفضل العباس عليه السلام أن يأتي بالماء للأطفال، مع أن أبا الفضل كان -بحسب الظاهر- القائد الميداني بعد الإمام الحسين عليه السلام وحامل اللواء، فقال له: «**اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء**»[٤]، وقد أجاد الشيخ محسن أبو الحب رحمه الله بنظمه، حيث قال:

إذا كان ساقي الحوض في الحشر حيدر فساقي عطاشى كربلاء أبو الفضلِ
على أنّ كل الناس في الحشر قلبه مريعٌ وهذا بالظما قلبه يغلي
وقفتُ على ماء الفرات ولَم أزل أقول له والقول يحسنه مثلي

(١) بحار الأنوار / ج ٩٣ / ص ١٧٠.
(٢) العبّاس عليه السلام: السيّد عبد الرزّاق الموسوي المُقرّم: ص٢٥٥.
(٣) بحار الأنوار / ج ١٨ / ص ٤٣.
(٤) نفس المصدر: ج٤٥ص٤١.

عـلامك تـجري لا جـريت لـوارد ... وأدركـت يـوماً بعض عارك بالغسلِ
أمـا نـشفت أكـبـاد آل محمّد ... لـهـيباً ولا ابتلَّت بـعلٍّ ولا نـهلِ
مـن الـحقّ أنْ تـذوي غصونك ذبّلاً ... أسـىً وحـياءً مـن شـفاهِمُ الـذُبلِ
فـقال استمع للقول إنْ كنت سامعاً ... وكـنْ قـابلاً عذري ولا تكثرنْ عذلي
ألا إنّ ذا دمـعي الـذي أنـت نـاظر ... غـداة جـعلتُ الـنوح بعدهُمُ شغلي
بـرغـمي أرى مـائي يـلذ سـواهمُ ... بـه وهـم صرعى على عطش حولي
جـزى الله عـنهم في المواساة عمَّهم ... أبـا الفضل خيراً لو شهدت أبا الفضلِ
لـقـد كـان سـيفاً صـاغه بـيمينه ... عـليّ فـلم يـحتج شباه إلى الصقلِ[1]

(١) ينظر ديوان محسن ابو الحب الكبير.

الدرس التاسع : التسليم

إن اعتماد الإنسان المؤمن على الله تعالى في أموره على ثلاث أنواع بدرجات متفاوتة، وهي:

١. التوكل. ٢. الرضا. ٣. التسليم.

وقد يطلق (التوكل) على جميع هذه الأنواع ولكن بمفهوم مشكك، قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «**التوكل على الله درجات**»[١]..

أولاً: - التوكل

وهو أول درجات الاعتماد على الله تعالى، وهو إيكال شؤون الإنسان إلى الله تعالى مع تعلق القلب بصلاح تلك الأمور، وعدم الضيق والحرج.. قال الباري سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. وقال: ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]، وقال أيضاً: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لو أن رجلاً توكل على الله بصدق النية لاحتاجت إليه الأمراء فمَن دونهم، فكيف يحتاج هو ومولاه الغني الحميد؟!**»[٢]

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ١٢٩.

(٢) روضة الواعظين – للفتال النيسابوري / ص ٤٢٦.

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمور**»(١).

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «**إن العز والغنى خرجا يجولان، فلقيا التوكل فاستوطنا**»(٢).وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**ومن التوكل أن لا تخاف مع الله غيره**»(٣).

وأفضل جزاء يجزاه المؤمن إذا كان متوكلاً هو أن يكون محبوباً لله تعالى في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، و يا له من جزاء عظيم.

ولكن يجب أن لا يكون التوكل سبباً في تعطيل أعمال الإنسان وسعيه الضروري في الدنيا، فقد روي أن أعرابياً أهمل بعيره، وقال: توكلت على الله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «**اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»(٤).

ثانياً: - الرضا

وهو أعلى درجةً من التوكل؛ لأن الرضا بحسب ما يفهم من كلمات علماء الأخلاق هو: «أن يكون طبع الإنسان موافقاً لما يقضيه الله تعالى له من سعة وضيق، قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [المائدة:١١٩]. وجاء في الحديث القدسي: «**عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرضَ بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكرْ نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي**» (٥)،وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله**»(٦).

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ١٥١.
(٢) مستدرك الوسائل / ج ١١ / ص ١٩٨.
(٣) بحار الأنوار/ ج ٦٨ / ص ١٥٨.
(٤) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١١/ ص ٣٤٥.
(٥) بحار الأنوار / ج ١٣ / ص ٣٤٩.
(٦) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ٤/ ص ٩٨.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله**»(١).

ومن أعظم وأجل وأشرف عطاءات هذا المقام هو تحصيل رضا الله تعالى، فقد روي أن موسى عليه السلام قال: «**دلني على أمر فيه رضاك، قال: إنّ رضاي في رضاك بقضائي**»(٢). ورضوان الله نعمة تفوق نعمة الجنة، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[التوبة: ٧٢].

ثالثاً: - التسليم

وهو أعلى وأكمل درجات التفويض إلى الله تعالى وفوق التوكل والرضا، حيث يصل الإنسان إلى مرحلة من العبودية لا يرى سوى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء :٦٥]. وقال أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٦]، وهذا ما كان عليه نبي الله إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام حيث قال الله عزوجل عنهما: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾[الصافات:١٠٣].

وهذا ما أوصى به إمامنا الصادق عليه السلام بقوله: «**لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبي ألا صنع خلاف الذي صنع أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية، ثم قال عليه السلام: «**وعليكم بالتسليم**»(٣).

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ١٥٩.
(٢) نفس المصدر/ ج ١٣ / ص ٣٥٩.
(٣) نفس المصدر / ج ٢ / ص ٢٠٥.

ولقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام متحلياً به، فانه قطع المسافات الأخلاقية ليصل إلى منتهاها وأرقاها، بل إنه في تسليمه منفردٌ عن غيره؛ لشهادة الإمام الصادق عليه السلام له بذلك أولاً، وتخصيصه به ثانياً، فقال: «**أَشْهَدُ لَكَ بالتَّسْليمِ**».

فقد وقعت عليه من الابتلاءات العظيمة ما لو وقعت على الجبال لنسفت وانهدّت، إلا انه لم يكن كذلك، بل كان في كل ابتلاء يزداد ثباتاً وتألقاً.. فقد ابتلي بقطع يده اليمنى ومع ذلك لم يجزع أو يتفجع، وإنما كان جوابه:

والله إن قطعتم يميني إنّي أُحامي أبداً عن ديني

ثم إنه قُطعت شماله فخاطب نفسه مهذباً لها:

يا نَفْسُ لا تَخْشَي منَ الْكُفّارِ وأبْشِري بِرَحْمَةِ الْجَبّارِ

والتفت إلى أنه كان يرى قطع يده بشرى برحمة الله تعالى، وهذه رؤية عميقة أساسها تسليمه لله تعالى.. و يا له من درس عظيم قد أوضح ملامحه وأسس قواعده فأثبت لربه ولأهل السماوات والأرضين أنه حقاً كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام «عبداً صالحاً» لا يرى لنفسه طريقاً يسلكه غير العبودية والخضوع لله رب العالمين (جل جلاله).

نعم، إن الغموض والأسرار محيطةٌ بابن علي الكرار عليه السلام لا يمكن للإنسان أن يرفع عنها الدثار ويكشفها للأبصار، مهما خاض من غمار إلّا الإمام المعصوم من الأطهار عليهم السلام.

الدرس العاشر : التصديق واليقين

ونختصر الكلام فيه بمطالب أربعة:

الأول:- إن المراد من التصديق واليقين شيء واحد وليس هما مختلفين بحسب المعنى، فقد سئل رسول الله ﷺ: ما اليقين؟ فقال: «التصديق». وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «... **والتصديق هو اليقين**»[١].

الثاني:- يفهم من بعض الروايات أن التصديق واليقين من مراتب القلب، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير ما ألقي في القلب اليقين»[٢]، وقال أيضاً: «وخير ما دار في القلب اليقين»[٣]، وقال: «ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين»[٤]. وهناك روايات أُخر تدل على ذلك.

الثالث:- لليقين ثلاث مراتب بحسب قوته وهي:

١. (علم اليقين): قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥]، ويُمَثَّل له كمن علم بوجود النار من خلال دخانها، وهو أدنى مراتب اليقين.

٢. (عين اليقين): قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٧]، ويُمَثَّل له كمن رأى عين النار، فإن علمه بها أكثر تصديقاً وإذعاناً من الأول، وأعلى مرتبة منه.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٥ / ص ٣٠٩.
(٢) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١١/ ص ٤١٧.
(٣) نفس المصدر/ ج ١١/ ص ٤١٨.
(٤) غرر الحكم / ص ٦١ / ح ٧١٦.

٣. (حق اليقين): قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الحاقة: ٥١]، ويُمَثَّل له كمن علم بوجود النار بوضع يده فيها، فهو يحصل له تصديق بوجودها بحيث لا يمكن أن يشك ولو بشيء بسيط جداً بوجودها بخلاف الأول؛ لأنه قد يظن أن مصدر الدخان شيء آخر ليس بنار، وبخلاف الثاني؛ لأنه قد يظن أنه اشتبه في رؤيته النار، وهذا أعلى مراتب اليقين وأسماها.

إلّا أن الذي يضع يده في النار يحصل له (حق اليقين)، وهذا هو الذي طلبه النبي إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فإنه كان على اليقين، ولكن أراد أن يصل إلى حق اليقين، وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن الآية السابقة: أكان في قلبه شك؟ فقال عليه السلام: «**لا، كان على يقين، ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه**»[1].

وقد يفهم من بعض الروايات أن التصديق أعلى مرتبةً من اليقين بجميع صوره الثلاث، وقد أشار العباس عليه السلام في إحدى أراجيزه يوم الطف إلى اتصاف الإمام الحسين عليه السلام بمرحلة الصدق من اليقين، حيث قال:

والله إنْ قَطَعْتُمُ يَميني ... إنّي أحامي أَبَداً عَنْ ديني

وعَنْ إمامٍ صادِقِ اليَقين ... نَجْلِ النَّبِي الطّاهِرِ الأمينِ

نعم، إنهم عليهم السلام كانوا قد وصلوا إلى مرحلة «لو كُشف لي الغطاء ما ازددتُ يقيناً».

الرابع:- إن لليقين ثمرات كبيرة وعظيمة جداً نذكر منها بحسب ما أفادت به بعض الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام:

١- الإخلاص: قال الإمام علي عليه السلام: «**سبب الإخلاص اليقين**»[2].

---

(١) بحار الأنوار / ج ١٢ / ص ٧٣.

(٢) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١١/ ص ٤٣٠.

٢- الصبر: قال مولى المتقين عليه السلام: «**الصبر ثمرة اليقين**»[١].

٣- قصر الأمل: قال أبو الحسنين عليه السلام: «**يستدل على اليقين بقصر الأمل**»[٢].

٤- الزهد: قال أخو النبي صلى الله عليه وآله: «**اليقين يثمر الزهد**»[٣].

٥- التوكل: قال إمام العارفين عليه السلام: «**التوكل من قوة اليقين**»[٤].

٦- الرضا: قال الإمام الرضا عليه السلام: «**الرضا ثمرة اليقين**»[٥].

٧- تهوين المصائب: قال الإمام زين العابدين عليه السلام في إحدى مناجاته: «**أَسْأَلُكَ بِكَرَمِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطائِكَ... وَمِنَ الْيَقِينِ بِما تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مُصِيباتِ الدُّنْيا**»[٦].

وهذا ما ظهر من أبي الفضل العباس عليه السلام يوم الطف من الشوق إلى الله تعالى وثباته وإقدامه على الموت، وتفانيه في خدمة الإمام الحسين عليه السلام والدفاع عنه وزهده في هذه الحياة الدنيا، وإعراضه عنها ومواساته وإيثاره... كل ذلك كان شاهداً على مستواه العالي من اليقين حتى قال في حقه الإمام الصادق عليه السلام: «**أَشْهَدُ لَكَ بالتَّسْليمِ وَالتَّصدِيقِ**».

ولعل هذا الذي عناه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**كان عمّنا العبّاس نافذ البصيرة، صلب الإيمان**»[٧].. لذلك تراه يقول عندما أراد شرب الماء وتذكر عطش الحسين عليه السلام:

يا نفسُ منْ بعدِ الحُسينِ هُوني وبـعـدَهُ لا كُـنـتِ أنْ تكوني

(١) غرر الحكم / ص ٢٨٠ / ح ٦٢١٦.
(٢) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١١/ ص ٤٣٠.
(٣) غرر الحكم / ص ٦٢ / ح ٧٣٥.
(٤) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١١/ ص ٤٣١.
(٥) نفس المصدر/ ج ١١/ ص ٤٣١.
(٦) بحار الأنوار / ج ٩١ / ص ١٤٥.
(٧) مع الركب الحسيني - الطبسي / ج ١ / ص ٧٥.

هـذا الحُـسـينُ واردُ المَـنـونِ وتـشـرَبـيـنَ بـاردَ المَـعـينِ
هَـيـهـاتَ مـا هـذا فِـعـالُ ديني ولا فِـعـالُ صـادقِ اليـقـينِ

فانظر إليه كيف يمنع نفس حتى من المباحات التي لم يأت الدين بتحريمها، فهل يحكم الإسلام بعدم شرب الماء في مثل ذلك الموقف؟!

الجـواب: كلا، ولكن الـذي منع أبا الفضل من شرب الماء هو التقوى بأعلى مستوياتها.. هو الورع بأرفع معانيه.. هو الترفع عن الشهوات الذي هو شعار الأولياء.. إن الذي منع أبا الفضل عليه السلام من شرب الماء هو: (صدق اليقين) بفوز وفلاح المواسين، ونعيم المتقين الصالحين..

لقد أصبح أبو الفضل عليه السلام بهذه المواقف واحداً لا نظير له إلى يومنا هذا، ولا أحسب أن يأتي مثله إلى يوم القيامة، وكما يقول العلامة الأصفهاني قدس سره:

وهـو حليف الحـق والحقيقة والـفـرد في الخـلـقـة والخليقة
وقـد تجـلى بـالجـمال الـبـاهـر حتى بـدا سر الـوجـود الـزاهـر
غـرتـه الـغـراء في الـظـهـور تـكـاد أن تـغـلـب نـور الـطـور
وفي سـمـاء المـجـد والـفـخـار بـالحـق يـدعـى قـمـر الأقـمـار
بـل في سـمـاء عـالم الأسـمـاء كـالـقـمـر الـبـازغ في الـسـمـاء
بـل عـالم التكوين مـن شعاعه جـل جـلال الله في إبـداعـه[1]

(١) العباس عليه السلام: السيدعبد الرزاق المقرم/ ص٣٦٠-٣٦١.

الدرس الحادي عشر : الوفاء

الوفاء من الأخلاق التي تنبعث من صدق النفس وإخلاصها، قال الإمام علي عليه السلام: «**نعم قرين الصدق الوفاء**»[١]، وضد الوفاء الخيانة، ففي الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام: «**الخائن لا وفاء له**»[٢]. وقد قسمه البعض إلى ثلاثة أقسام :

الأول:- الوفاء بالعهد والوعد.

الثاني:- الوفاء برد الجميل لمن صنع معك جميلاً.

الثالث:- الوفاء بأداء حقوق الله والناس والحيوان.

وإليك بعض الأحاديث الشريفة في الوفاء بصورة مطلقة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام..

١. «**أشرف الخلائق الوفاء**».[٣]

٢. «**الوفاء كيل**».[٤]

٣. «**الوفاء حصن السؤدد**».[٥]

---

(١) غرر الحكم : ص ٢٥٢ / ح ٥٢٦٧.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٦٠ / ح ١٠٥١٨.

(٣)نفس المصدر: ص ٢٥١ / ح ٥٢٥٢.

(٤) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١١/ ص ٢٦٨.

(٥) غرر الحكم / ص ٢٥١ / ح ٥٢٤٧.

٤. «**الوفاء حفظ الذمام**».[١]

٥. «**الوفاء حلية العقل وعنوان النبل**».[٢]

٦. «**الوفاء عنوان وفور الدين و قوة الأمانة**».[٣]

٧. «**بحسن الوفاء يعرف الأبرار**».[٤]

القسم الأول : الوفاء بالعهد والوعد.

والآيات في القرآن الكريم حول الوفاء بالوعد والعهد كثيرة جداً والروايات في ذلك كذلك مما يكشف عن أهمية هذا الخُلُق الكريم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الاسراء٣٤]، وقد خص الله نبيه إسماعيل بهذا الذكر حيث قال: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم٥٤]، وجاءت روايات في ذلك منها :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عليك بصدق الحديث، ووفاء العهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصيّة الأنبياء**»[٥]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة: بر الوالدين، برين كانا أو فاجرين، ووفاء بالعهد للبر والفاجر وأداء الأمانة إلى البر والفاجر**»[٦].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «**أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد**

(١) غرر الحكم / ص ٢٥١ / ح ٥٢٥١.
(٢) نفس المصدر: ص ٢٥١ / ح ٥٢٤٩.
(٣)نفس المصدر: ص ٢٥١ / ح ٥٢٤٨.
(٤) نفس المصدر: ص ٢٥١ / ح ٥٢٥٥.
(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب/ ج٣ / ص ٢٣٩.
(٦) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١/ ص ٢٢٩.

غدر، وإذا خاصم فجر»[١].

وقال أيضاً: «**أقربكم غداً منّي في الموقف أصدقكم للحديث، وأدّاكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس**»[٢].

وأما إذا رأى الإنسان أنه إذا وعد فلا يستطيع الوفاء بها وعد فالخلق الكريم في هذه الحالة أن لا يعد أصلاً، جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تعدنّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه**»[٣]. وقد أحسن الشاعر بقوله:

إذا قلتَ في شيءٍ (نعم) فأتمّهُ ... فإنَّ نَعمْ دَيْـنٌ على الحـرِّ واجبُ
وإلاّ فقلْ (لا) تسترحْ وتُرَحْ بها ... لئلاَّ يقولَ الناسُ إنَّكَ كاذبُ[٤]

وقول الآخر:

لاَ تَـقُـولَـنَّ إِذَا مـا لم تُـرِدْ ... أَن تُتِمَّ الـوَعْـدَ في شَيءٍ (نَعَمْ)
حَسَنٌ قَوْلُ (نَعَمْ) مِنْ بَعْدِ (لاَ) ... وقَبيحٌ قـوْلُ (لاَ) بَعدَ (نَعَـمْ)
إِنَّ (لاَ) بَـعْـدَ (نَـعَـمْ) فاحِشَةٌ ... فَبِـ(لا) فابْدَأ إِذَا خِفْتَ النَّدَمْ[٥]

وحتى الصغار ينبغي أن يوفى لهم إذا وُعدوا بشيء، كما جاء في الحديث الشريف عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**إذا وعدتم الصغار فأوفوا لهم، فإنهم يرون أنكم أنتم الذين ترزقونهم**»[٦]. ومن هنا كان الوفاء بالوعد مقروناً بالإيمان بالله واليوم الآخر، قال

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٩ / ص ٢٦١.
(٢) نفس المصدر: ج ٧ / ص ٣٠٣.
(٣) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١١/ ص ٢٠٢.
(٤) البداية والنهاية: ابن كثير:ج١٠ ص٢٩٤.
(٥) خزانة الأدب : البغدادي :ج١١ص٨٩.
(٦) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١١/ ص ٢٠٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيفِ إذا وعد**»[١].

القسم الثاني : الوفاء برد الجميل لمن صنع معك جميلاً.

والعقل يوجب الإحسان للمحسن، ووصل الذي يصلك، وإعطاء من أعطاك، وهكذا.. وإلا فإنه (اللؤم)، وكفى باللؤم خبثاً وشروراً..

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللؤم جَمّاع المَذام**»[٢]. وعنه أيضاً: «**من علامات اللؤم الغدر بالمواثيق**»[٣]. وعنه: «**الكريم يشكر القليل، واللئيم يكفر الجزيل**»[٤]. وعنه: «**اللئيم إذا أعطى حقد، وإذا أُعطي جحد**»[٥]. وعنه: «**إياك أن تعتمد على اللئيم، فإنه يخذل من اعتمد عليه**»[٦].

وجاء عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**الكريم يلين إذا استُعطف، واللئيم يقسو إذا ألطف**»[٧]. وقال الإمام علي عليه السلام: «**منع الكريم أحسن من عطاء اللئيم**»[٨]. وقال: «**سنة اللئام الجحود**»[٩].

والمؤمن يفعل الجميل حتى مع المسيئين إليه وليس فقط مع المحسنين.. والأحاديث في هذا المضمون كثيرةٌ. وقد جاء في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام: «**اللّهُمَّ**

(١) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ١٤٩.
(٢) غرر الحكم / ص ٢٦٠ / ح ٥٥٦٣.
(٣) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ٩/ ص ٨٤.
(٤) نفس المصدر:ج ٩/ ص ٥.
(٥) غرر الحكم / ص ٢٦٠ / ح ٥٥٧٤.
(٦) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ٩/ ص ٨٥.
(٧)نفس المصدر:ج ٩/ ص ٤.
(٨) غرر الحكم / ص ٢٦١ / ح ٥٦١٠.
(٩) نفس المصدر: ص ٢٦١ / ح ٥٥٩٠.

صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْني لأنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ، وَأجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالبِرِّ، وَأُثيبَ مَنْ حَرَمَني بِالبَذْلِ، وَأُكافِئَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَةِ، وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إلى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأنْ أشْكُرَ الحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ...».

القسم الثالث : الوفاء بأداء حقوق الله والناس والحيوان.

وخير رسالة في بيان الحقوق التي يجب على المؤمن بل الإنسان: الوفاء في أدائها (رسالة الحقوق) التي وردت عن مولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.. وننقل هنا منها شيئاً للبركة، وإذا أردتها بكاملها فراجعها مع شرحها من مظانها.

وبعد هذا، فإن الوفاء هي السمة البارزة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام إلى درجة أنه استحى من الرجوع إلى المخيم؛ لأنه لم يستطع أن يتم ما وعد به الأطفال من إيصال الماء، مع أنه كان معذوراً بل ومشكوراً على ما قدمه من نصح لله ولرسوله ولخلف النبي المرسل.. وقد شهد له الإمام الصادق عليه السلام بهذه الخصلة المباركة في زيارته بقوله: «**أَشْهَدُ لَكَ بالتَّسْليمِ وَالتَّصدِيقِ وَالوَفاءِ...**».

وقد وفى بما وعد به أباه أمير المؤمنين عليه السلام عندما طلب منه على صغر سنه أن يتكفل برعاية أخته السيدة زينب عليها السلام إلى آخر لحظة من حياته.. وقد وفى لأمه السيدة فاطمة أم البنين عليها السلام في تربيتها له بتقديم الإمام الحسين عليه السلام والتأدب معه والإخلاص له.. فكان ملتزماً بذلك كما ربته. وقد وفى لله وللرسول صلى الله عليه وآله والأئمة أجمعين عليهم السلام في نصرة الدين والإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام..

لقد وفى أبو الفضل عليه السلام لله حتى جزاه الله بأوفى جزاء.. جاء في زيارته: «**فَجزاكَ اللهُ أفْضَلَ الجَزاءِ، وَأكْثَرَ الجَزاءِ، وَأوْفَرَ الجَزاءِ، وَأوْفىٰ جَزاءِ أحَدٍ مِمَّنْ وَفى بِبَيْعَتِه، وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَأطاعَ وُلاةَ أمْرِهِ...**». كما وقد جزاه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إضافة إلى جزاء

الله تعالى: «**فَجَزاكَ اللهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أميرِ المؤمنين وَعَنِ الحَسَنِ والحُسين صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَ الجَزاءِ...**»، وهذا الجزاء الوافر لم يكن محاباةً لنسبٍ أو ما شاكل، بل كان «**بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعَنْتَ**». كما جاء في زيارته عليه السلام:

والدين لما قطعت يداه ... تقطعت من بعده عراه
وانطمست من بعده أعلامه ... مذ فقدت عميدها قوامه
وانصدعت مهجة سيد البشر ... لقتله وظهر سبطه انكسر
وبان الانكسار في جبينه ... فاندكت الجبال من حنينه
وكيف لا وهو جمال بهجته ... وفي محياه سرور مهجته
كافل أهله وساقي صبيته ... وحامل اللوا بعالي همته
واحدة لكنه كل القوى ... وليث غابه بطف نينوى
ناح على أخيه نوح الثكلى ... بل النبي في الرفيق الأعلى
وانشقت السما وأمطرت دما ... فما أجل رزئه وأعظما
بكاه كالهطال حزنا والده ... وكيف لا وبان منه ساعده
بكاه صنوه الزكي المجتبى ... وكيف لا ونور عينه خبا
ناحت بنات الوحي والتنزيل ... عليه مذ أمست بلا كفيل
ناحت عليه الحور في قصورها ... لنوح آل البيت في خدورها
ناحت عليه زمر الأملاك ... مذ ناحت العقائل الزواكي[1]

(١) الأنوار القدسية : الشيخ محمد حسين الاصفهاني: ص١٧٤.

الدرس الثاني عشر : النصيحة

النصيحة من الأخلاقيات التي تمسك بها أنبياء الله تعالى تمسكاً شديداً، فكانوا لا يتركون النصح لأقوامهم على الرغم مما لاقوه منهم من الأذى والتنكيل.. ومع أن الأنبياء ليس عليهم إلا التبليغ الذي يقيم الحجة على الناس، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقد جاء في الذكر الحكيم على لسان النبي نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وعلى لسان النبي هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨]، وعلى لسان النبي صالح عليه السلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وعلى لسان النبي شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٣].

وقد حث الإسلام على أن يكون الفرد المسلم ناصحاً في جميع حركات الحياة.. والنصيحة على أقسام:

القسم الأول: - النصيحة لله:

جاء في الحديث القدسي: «**أحب ما تعبَّد لي به عبدي، النصح لي**»[1] ويقول الإمام علي عليه السلام: «من واجب حقوق اللهّ على العباد النّصيحة بمبلغ جهدهم»[2]. وقال الإمام

(١) ميزان الحكمة – للريشهري:ج ١٠/ ص ٣٦٦.
(٢) نفس المصدر/ ج ١٠/ ص ٣٦٧.

الصادق عليه السلام: «**إن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عزوجل فنصحه...**»[١]. وقال أيضاً: «**عليكم بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه**»[٢]..

القسم الثاني:- النصيحة للخلق:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه**»[٣]. وقال: «**لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه**»[٤]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمن أخو المؤمن يحق عليه نصيحته**»[٥].

القسم الثالث:- النصيحة للنفس:

قال الإمام علي عليه السلام: «**إن أنصح الناس أنصحهم لنفسه**»[٦]. وقال: «**إن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه**»[٧]. وقال أيضاً: «**من نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره**»[٨].

وقد جمع النبي صلى الله عليه وآله هذه الأقسام في حديث له، حيث قال: «**من لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم**»[٩].. وقد جاء في الكثير من الأحاديث عدم رد النصيحة، إليك بعضها:

---

(١) ميزان الحكمة – للريشهري / ج ١٠/ ص ٣٦٦.
(٢) نفس المصدر/ ج ١٠/ ص ٣٦٦.
(٣)نفس المصدر:ج ١٠/ ص ٣٦٦.
(٤) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٣٥٨.
(٥) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١٠/ ص ٣٦٧.
(٦) غرر الحكم / ص ٢٢٥ / ح ٤٥٥٩.
(٧) ميزان الحكمة – للريشهري/ ج ١٠/ ص ٣٧٠.
(٨) نفس المصدر:ج ١٠/ ص ٣٧٠.
(٩)نفس المصدر:ج ١٠/ ص ٣٦٦.

١- قال الإمام علي عليه السلام: «**طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه**»(١).

٢- وقال: «**ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح**»(٢).

٣- وقال: «**من خالف النصح هلك**»(٣).

٤- وقال: «**من قبل النصيحة أمن من الفضيحة**»(٤).

إلّا أن للناصح علامات يُعرف بها، فمع فقدان هذه العلامات لا تؤخذ نصيحته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أما علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد**»(٥). وقال الإمام علي عليه السلام: «**لا ينصح اللئيم أحداً إلا عن رغبة أو رهبة، فإذا زالت الرغبة والرهبة عاد إلى جوهره**»(٦). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**النصيحة من الحاسد محال**»(٧).

وهذا الدرس نأخذه من أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد جاء في زيارته: «**أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصدِيقِ وَالوَفاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ المُرْسَل، وَالسِّبْطِ المُنْتَجبِ**». ووصفه بالناصح في زيارته قد تكرر أكثر من مرة، مما يكشف عن شدة نصحه وتخلقه بهذا الخلق الذي عرفتَ قيمته من خلال ما تقدم.. وإليك تلك المقاطع التي ورد فيها ذلك من زيارته: «**وَأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَىٰ ما مَضىٰ عَلَيهِ الْبَدْرِيُّونَ، المُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ، المُناصِحُونَ لَهُ في جِهادِ أعدائِهِ...**».

وجاء أيضاً فيها أنه لم يكن ناصحاً فحسب بل كان مبالغاً في ذلك: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ**

---

(١) غرر الحكم / ص ٢٢٥ / ح ٤٥٧٥.
(٢) نفس المصدر:ص ٢٢٥ / ح ٩٥٠٣.
(٣) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١٠/ ص ٣٧٢.
(٤) غرر الحكم / ص ٤١٦ / ح ٤٥٧٩.
(٥) ميزان الحكمة - للريشهري/ ج ١٠/ ص ٣٦٨.
(٦) نفس المصدر:ج ١٠/ ص ٣٦٩.
(٧) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ١٩٤.

بالَغْتَ في النَّصيحَةِ، وَأَعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهُودِ». وهذا التعبير في حقه من لسان المعصوم الذي لا يحابي يستحق الوقفة والتأمل!!

وجاء كذلك فيها عندما تقف عند الرجلين: «**اَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلأخيكَ فَنِعْمَ الأخُ المُواسي**». وروي أن الإمام الحسين عليه السلام رثاه لما استشهد بأبيات من الشعر حيث قال:

«**أخـي يـا نـور عيني يـا شقيقي ... فـلي قـد كنت كالركن الوثيقِ**
أيا ابن أبي نصحت أخاك حتى ... سـقـاك الله كـأسـاً مـن رحـيـقِ
أيـا قـمـراً مـنـيراً كـنـت عـوني ... عـلى كـل الـنـوائـب في المضيقِ
فـبـعـدك لا تـطـيـب لـنـا حـيـاة ... سنجمع في الـغـداة على الحقيقِ
ألا لله شـكـوائـي وصـبـري ... ومـا ألـقـاه مـن ظـمـأ وضـيـقِ»

ثم صاح الحسين عليه السلام: «**وا أخاه، وا عباساه، وا مهجة قلباه، وا قرة عيناه، وا قلة ناصراه، يعز والله عليَّ فراقك**»(١).

وأبو الفضل عليه السلام كان ناصحاً واعظاً حتى للأعداء في واقعة كربلاء، فقد جاء في النص: «إنّ العباس لما رأى وحدته عليه السلام أتى أخاه وقال: يا أخي هل من رخصة؟ فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً ثمّ قال: **يا أخي أنت صاحب لوائي وإذا مضيت تفرّق عسكري**. فقال العباس عليه السلام: قد ضاق صدري وسئمت الحياة وأُريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين. فقال الحسين عليه السلام: **فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء**، فذهب العباس عليه السلام ووعظهم وحذّرهم فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره...»(٢).

فالعباس عليه السلام كان يعظ الأعداء حتى مع تلك الظروف الحرجة، ومع ما يلقاه

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام/ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام/ ص٥٦٩.
(٢) نفس المصدر: ص٥٦٧.

معسكر الحسين عليه السلام من الأذى من قبل هذه الزمرة الطاغية الفاسدة (لعنة الله عليهم أجمعين).

وكان يأمر إخوته بأن يكونوا ناصحين لله ولرسوله، فكما جاء في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: «فلما رأى العبّاس بن عليّ كثرة القتلى في أهله قال لإخوته من أمّه –وهم عبدالله وجعفر وعثمان–: يا بني أُمّي تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله...». فأبو الفضل عليه السلام لم يكن ناصحاً فحسب، بل كان يأمر بذلك ويربي إخوته على أن يكونوا كذلك.

وبهذا تم الكلام في دروس أبي الفضل العباس عليه السلام، وذلك في السادس من صفر الخير سنة ١٤٣٣هـ، الموافق ليوم ٣١/ ١٢/ ٢٠١١م، ليلة استشهاد الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام..

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا اليسير ببركةِ من كتبنا عنه هذه الأسطر القليلة بحقه، وان يجعله شفيعاً لنا يوم نلقاه انه على كل شيء قدير... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المحتويات

الإهداء	٣
تقديم	٥
تعريف مختصر لأبي الفضل العباس عليه السلام	٧
أراجيزه يوم الطف:	٩
الدرس الأول : التزود للآخرة	١١
الدرس الثاني : الحياء	١٥
أشكال الحياء الممدوح :	١٥
الأول: الحياء من الله تعالى:	١٥
الثاني: الحياء من الناس:	١٦
الثالث: الحياء من الملكين:	١٦
الرابع: الحياء من النفس:	١٧
أشكال الحياء المذموم	١٨
الأول: الحياء من فعل الخير:	١٨
الثاني: الحياء من قول الحق:	١٨
الثالث: الحياء من طلب الرزق:	١٨
الدرس الثالث : الغيرة والحمية	٢١
الدرس الرابع : الأُخوّة	٢٤

الدرس الخامس : الإيثار	٣٠
الدرس السادس : الخوف من الموت	٣٤
الدرس السابع : الشجاعة	٣٧
الدرس الثامن : سقاية الماء	٤٠
الدرس التاسع : التسليم	٤٣
أولاً:- التوكل	٤٣
ثانياً:- الرضا	٤٤
ثالثاً:- التسليم	٤٥
الدرس العاشر : التصديق واليقين	٤٧
الدرس الحادي عشر : الوفاء	٥١
القسم الأول : الوفاء بالعهد والوعد.	٥٢
القسم الثاني : الوفاء برد الجميل لمن صنع معك جميلاً.	٥٤
القسم الثالث : الوفاء بأداء حقوق الله والناس والحيوان.	٥٥
الدرس الثاني عشر : النصيحة	٥٧
القسم الأول:- النصيحة لله:	٥٧
القسم الثاني:- النصيحة للخلق:	٥٨
القسم الثالث:- النصيحة للنفس:	٥٨